فتوى الجهاد للمرجعية الدينية في النجف ضد الاستعمار الايطالي في ليبيا عام 1911

د. رنا سليم شاكر العزاوي/ كلية التربية الاساسية/جامعة بابل

م. وائل جبار جودة النداوي/ كلية التربية للعلوم الانسانية/جامعة المثنى

The Religious Opinion of the Religious Scholars in the Sacred City of Najaf of Jihad Against the Italian Invasion to Libya in 1911

Ph. D. Rana Saleem Al-Azawi / College of Basic Education/ University of Babylon

Lect. Wa'al Jabar Jodah/ College of Education for Humanities/ University of Al-Muthana

Abstract

Studying the religious opinions of the religious reference of the Sacred Najaf is a subject that is rarely talked. The religious reference of the Sacred Najaf announced jihad to defend the Sunna Muslims who were invaded by the Italians despite the remoteness from Najaf. The question is why the She'a religious reference announced jihad to defend Sunna Muslims in a place far from Najaf? The answer is the Libyan people are Muslims and belief in Muhammad (peace be upon him and his Holly household) as a profit so they are our brethren as we share the same beliefs.

المقدمة

تعد دراسة فتاوى المرجعية الدينية في النجف الأشرف، من المواضيع التي لم تسلط عليها الأضواء الكافية لمعرفة توجهاتها الوطنية وأبعادها القومية والاسلامية، والمثير في الامر هو قيام المرجعية بإعلان الجهاد دفاعا عن المسلمين السنة الذين أعتدي عليهم من قبل الاستعمار الايطالي، في بقعة بعيدة جداً عن النجف، فما مصلحة المسلمين الشيعة للذهاب والاستشهاد في ذلك البلد؟ وللإجابة على ذلك لا بد من القول إن المرجعية الدينية نظرت الى الشعب الليبي بأنه ينطق الشهادتين في الاسلام، ويؤمن بنبي الرسالة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهناك الكثير من المشتركات مع ذلك الشعب ولاسيما اللغة والعادات والتقاليد العربية، وفوق ذلك كله الأخوة في الدين.

ومن هذا المنطلق يمكن أن يعي القارئ مدى السماحة الدينية للمرجعية الدينية بالنظر الى تاريخها المشرف لكل الامة الاسلامية، ويشفع لها تاريخها في إسكات الاصوات النشاز التي تدعي التوجهات الطائفية لهذه المؤسسة الدينية الوطنية حاملة لواء الفكر الاسلامي، ومن دواعي اختياري لهذا الموضوع هو حب المعرفة والاطلاع عن تفصيلات تلك الفتوى، لأنها تدلل على إن المرجعية الدينية في النجف هي مؤسسة اسلامية لكل المسلمين على اختلاف مشاربهم وحاضنة لهم، ودراسة هذا الموضوع اليوم ضروري جداً، ولاسيما هناك الكثير من الجماعات والافراد لا يعرفون سوى اسم المرجعية الشيعية، فبيان هذا الموقف الجهادي عسى أن يدفعهم لقراءة المزيد عنها، ويعيد حسابات بعض المظللين من سياسيي الصدفة بتغيير المواقف والعودة الى الصف الوطني. وتضمن البحث مقدمة وثمانية محاور وخاتمة ناقش المحور الاول قضية التعريف بالمرجعية الدينية في النجف الاشرف، وظروف تأسيسها عام 1027م، ولاسيما بعد سيطرة السلاجقة على العراق وسياستهم الطائفية التي دفعت مؤسس الحوزة العلمية في النجف ابو جعفر محمد الطوسي بالهجرة من محلة الكرخ في بغداد الى الكوفة ثم الى النجف بعد أن تم حرق مكتبتين من أغنى المكتبات الاسلامية آنذاك، وتطرق الثاني الى هيكلية الدراسة في الحوزة العلمية لكي يكون للقارئ تصور عن هذه المؤسسة التي أنجبت علماء أعلام خدموا الدين الاسلامي بفكرهم المتنور الذي يؤمن بالاجتهاد وفق مقتضيات المرحلة التاريخية.

ودرس الثالث العوامل التي مهدت لاستعمار ليبيا ولاسيما أن الجانب الايطالي اتبع سلسلة من الاجراءات للهيمنة على الاقتصاد الليبي، وحاول كسب عطف الاهالي عن طريق فتح العديد من المدارس، فضلا عن تأسيس بنك دي روما

الذي فتحت له فروع في المدن الليبية وغرضه الاساس ابتزاز المواطنين وارغامهم على بيع اراضيهم، وتكفل الرابع بدراسة الاسباب المباشرة لإعلان الحرب وهي أسباب واهية كما وردت في البحث، ومسوغات إعلان الجهاد للمرجعية الدينية في النجف الاشرف في ظل تخلي العثمانيون عن أبناء طرابلس والجرائم البشعة التي ارتكبوها بحق السكان ويكفينا القول إنه في واقعة المنشية كانوا يشدون أيدي وأرجل النساء والرجال والاطفال ويذبحونهم، وهذا يذكرنا اليوم بما يفعله خوارج العصر من إرهابيي (داعش) اليوم من جرائم يندى لها جبين الانسانية.

وتابع الخامس نص فتوى الجهاد التي دعا إليها نخبة من علماء المرجعية آنذاك وفي مقدمتهم محمد كاظم الخراساني، ومحمد آل شيخ صاحب الجواهر، ومحمد سعيد الحبوبي، وغيرهم الذين عدوا هذه الحرب هي حرب صليبية ضد المسلمين ولا بد من نصرتهم تحت شعار أنصر أخاك المسلم المستضعف، من الجيش الايطالي الذي لا يعرف الرحمة والذي أنتهك الاعراض وارتكب المجازر، وناقش السادس صدى فتوى المرجعية الدينية على الشارع العراقي، فهب خطباء المنبر الحسيني من أجل التثقيف لتلك الفتوى، وخرج آلاف المتظاهرين في بغداد ولاسيما في باب المعظم والكاظمية، وكذلك في النجف وكربلاء والحلة والشامية والبصرة، من أجل تلبية نداء المرجعية، وجمع المتظاهرين التبرعات لدعم المجاهدين في طرابلس. وأستعرض السابع تأثير الفتوى على الشعراء الذين وظفوا طاقاتهم الشعرية لأثارة الجماهير وكسب عطفها لدعم الشعب الليبي وذكر الباحثان نماذج من أولئك الشعراء وفي مقدمتهم عبد المحسن الكاظمي الذي دعا الى نصرة طرابلس، وكذلك الحال مع الشاعر عبد المطلب الحلي الذي أكد على ضرورة الاقتصاص من الايطاليين وجرائمهم، الى جانب ما كتبه محمد حسين كاشف الغطاء الذي أصبح مرجعاً كبيراً فيما بعد. وسلط الثامن الضوء على صدى فتوى المرجعية على تبني الصحف المحلية لقضية العدوان الايطالي على ليبيا، ومن أهم تلك الصحف هي: صدى بابل، والنجف، والحياة البغدادية وسبيل الرشاد البغدادية أيضا.

ومن أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث هي رسالة الماجستير لعلاء عزيز كريم الذي كتب عن المرجعية الدينية ودورها السياسي في العراق 1921–1924، وأستقى الباحثان معلومات مهمة من هذه الرسالة في المحورين الأولين، وكذلك محمد علي حامش الذي سلط الضوء على عمر المختار وحركة المقاومة المسلحة في ليبيا ضد الاستعمار الايطالي 1911–1931، فإنه قدم معلومات مهمة تمت الاستفادة منها في المحور الثالث والرابع، وقدم محمد سعيد الطريحي معلومات غاية في الأهمية في بحثه الموسوم بـ المرجعية الدينية وقضايا العالم الاسلامي: الغزوا الايطالي للقطر الليبي وحرب طرابلس سنة 1911، وظفت في المحورين الخامس والسادس، في حين استفاد الباحثان من بحث الشعر العراقي وحرب طرابلس الذي كتبه ابراهيم الوائلي، وأخيراً أخذ البحث معلومات مهمة جداً من أطروحة الدكتور محمد هليل الجابري التي تحدث فيها عن الحركة القومية في العراق بين 1908–1914. والله الموفق

أولاً: التعريف بالمرجعية الدينية في النجف الأشرف:

تعد الحوزة العلمية مؤسسة علمية متخصصة في دراسة العلوم الفقهية الاسلامية، وارتبطت هذه المؤسسة بالمذهب الشيعي،[1] وأشارت المصادر الى إن الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين الطوسي،[2] أسس أول حوزة علمية بالنجف الاشرف، والسبب الذي دعاه الى ترك محلة الكرخ في بغداد والتوجه الى النجف هو كثرة المضايقات التي تعرض لها، ولاسيما بعد وصول طغرل بيك اول ملوك السلاجقة الى بغداد عام 447هـ/1026م، فقد كثرت الفتن، و راح ضحية تلك الفتن مكتبتان للشيخ الطوسي من أغنى المكتبات في ذلك العصر، التي كانت عامرة بأمهات الكتب المخطوطة، والتي قاربت في إحداهما من عشرة آلاف مجلد، ونتيجةً لذلك قرر التوجه الى الكوفة ثم الى النجف مؤسساً النواة الأولى للحوزة العلمية على أرضها عام 448هـ/1027م.[3]

وهناك دواعي الاخرى لهجرته الى النجف هو سياسة السلاجقة القائمة على أساس التفرقة الطائفية، الى جانب سوء الحالة الاقتصادية وغلاء الاسعار بسبب الاضطراب السياسي الحاصل، وأثر طلاب العلم سلباً الى حد عدم استطاعتهم الاستمرار في بغداد، فضلاً عن أنتشار الفقر والمرض والجوع و أنتشار السراق وقطاع الطرق.[4]

وحدث تغيير كبير في تاريخ المدينة، فقد برزت فيها جامعة اسلامية مختصه في مجالات الفقه وأصوله والفلسفة الاسلامية وتفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتلك الجامعة هي الحوزة العلمية، التي أصبحت قبلةً لطلبة العلم بعد أن فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، و وضع طريقة للبحث في الاصول، وكان طلبتها من مختلف الدول الاسلامية.[5] ويمكن الاستنتاج مما تقدم أن الحوزة العلمية صنعتها الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فلم تكن النجف مركز استقطاب السكان، ولكن تغير الحال مع ظهور الحوزة العلمية فيها، التي استقبلت الطلاب من كل البقاع الاسلامية وخرجت علماء اعلام خدموا الدين الاسلامي من خلال فكرهم الوسطي الذي دعا الى التسامح والابتعاد عن النفس الطائفي وذلك ينطبق على الشيخ الطوسي مؤسس الحوزة العلمية في النجف الاشرف، فضلا عن ذلك اكتسبت الحوزة العلمية مكانة متميزة وذلك لمجاورتها الصحن العلوي الشريف.

ثانياً: لمحة عامة عن هيكلية نظام الحوزة العلمية:

لم يكن في الحوزة العلمية نظام محدد في الدراسة بل لها نظامها الخاص ولا يوجد بها صفوف منتظمة ولا كتب مقررة أو أساتذة محددين، فإن الطالب يقرأ أي كتاب رغب فيه أو يدرس عن أي استاذ، في مكان غير محدد سواء مسجد أم دار أم مدرسة.[6] وتتدرج المراتب العلمية فيها من واعظ، ثم الى حجة الاسلام، ثم حجة الاسلام والمسلمين، ثم أية الله، وبعد ذلك أية الله العظمى،[7] بينما المراحل الدراسية في الحوزة فهي ثلاثة مراحل هي (المقدمات، والسطوح، والبحث الخارجي)، ولكل مرحلة خصوصيتها في الدراسة بحيث يمكن وصف مرحلة البحث الخارجي بأنها أشبه بمرحلة الدراسات العليا[8]، ويرى الباحثان إن الفكر الشيعي للحوزة العلمية ظل مستمراً كمركز إشعاع علمي، وفكرها لم يكن متجمد عند مرحلة معينه بل انها تعتمد على التجديد الفكري والدليل على ذلك اعتمادها مبدأ الأعلمية في التقليد أي أتباع الشخص الأكثر علما وفضلاً، ولن تتوقف في التقليد على شخص واحد، وإنما يتم تقليد الذي يليه في العلمية، وللمجتهد الأكبر للطائفة الشيعية أو المرجع الأعلى صفات خاصة تؤهله لقيادة العالم الاسلامي لا أبناء طائفته فقط.

ثالثا: العوامل التي مهدت الى احتلال ليبيا:

خضعت طرابلس الغرب (ليبيا) للسيطرة العثمانية منذ عام 1551، وقسمت البلاد أبان عهد العثمانيين الى ثلاثة أقسام رئيسية: هي أقاليم، (طرابلس، وبرقة، وفزان)، وطيلة القرن التاسع عشر كانت سيطرة العثمانيين على المناطق الساحلية قوية في حين سيطرتهم على المناطق الداخلية ضعيفة،[9] وخلال الاعوام الاولى من القرن العشرين زادت أطماع ايطاليا في ليبيا، ولاسيما بعد احتلال فرنسا لمراكش بعد الجزائر وتونس، واحتلال بريطانيا لمصر.[10]

ونتيجةً لذلك بدأ التغلغل الايطالي في ليبيا، فقد بلغ عدد الجالية الايطالية في ليبيا عام 1900، حوالي ألف ومائة شخص، فضلا عن ذلك قام الايطاليين بسلسلة من المشاريع الاجتماعية والثقافية، فأسسوا مستشفى ايطالية وعدد من المدارس ومصلحة بريد ايطالية وملجئ للأيتام، بين عامي 1900–1903، وأنشأوا بنك روما في طرابلس عام 1907، وفتحت له فروع في باقي الاقاليم، وبذل البنك المذكور جهودا حثيثة من أجل شراء الاراضي من الاهالي بأضعاف أسعارها، وأتباع سياسة الاقراض والاستملاك في حال عجز أفرادها عن الوفاء بالالتزامات مع البنك، وسيطر الايطاليون تدريجياً على صادرات البلاد من الصوف والحبوب وعشب الحلفا، ريش النعام،[11] وتم أرسال بعثة علمية أثرية الى طرابلس عام 1910، وظاهر عمل هذه البعثة هو التنقيب عن معدن الفوسفات واجراء حفريات اثرية، ولكن مهمتها الاساسية هي وضع المصورات والخرائط الجغرافية اللازمة للعمليات العسكرية.[12]

ويمكن القول ان الاجراءات الايطالية لاحتلال ليبيا خطط لها منذ أعوام، فقد أستغل الايطاليون حالة الفقر والفاقة التي عانى منها سكان ليبيا خلال تلك المرحلة التاريخية من أجل تنفيذ مخططاتهم المشؤومة ولاقت تلك الخطط ثمارها، وفق مجتمع تعامل مع الطرف المقابل بحسن النية، ولكن أثبتت الايام إن ما يبتغيه الايطاليون ليس الاعمال الخيرية بل السيطرة على موارد هذه المنطقة مدفوعين بروحهم الصليبية.

رابعاً: إعلان الحرب ومسوغات فتوى الجهاد للمرجعية الدينية:

أكملت ايطاليا استعداداتها العسكرية لاحتلال ليبيا، أواخر عام 1911، وبلغت القوات العسكرية المعدة للغزو اربع وثلاثون ألف جندي، وستة الاف وثلاثمائة حصان، وألف وخمسين عربة، وثمان وأربعون مدفعاً ميدانياً، وأربع وعشرين مدفعاً جبلياً، ومائة وخمس وأربعون سفينه حربية، ومائة وأربعة عشر قطعة بحرية أخرى ضد القوات العثمانية المكونة من خمسة الاف مقاتل في طرابلس وألفين في برقة، وكانت حجة الايطاليين هي مقتل شخصين إيطاليين في ليبيا عام 1908، وهي حجة واهية، و زعمت إن أملاك الايطاليين وحياتهم في خطر على الرغم من محاولة العثمانيين استرضاء الايطاليون إلا أنهم لم يلقوا إذن صاغية لذلك.[13]

أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية في ليبيا يوم التاسع والعشرين من أيلول عام 1911، ولم يكن أمام الدولة العثمانية إلا إعلان موقف الحياد، ومما زاد الطين بلة هو قيام الحكومة العثمانية بسحب معظم قواتها من ليبيا عام 1910، بحجة إن وضعها في اليمن والبلقان حتم عليها ذلك، فضلا عن سحب أسلحتها الاحتياطية في ليبيا والتي قدرت بأربعين ألف بندقية، الى جانب سحبها الضباط الأكفاء ولاسيما العرب، وتركت البلاد بسبعة آلاف جندي، وتم إهمال تموين البلاد، في ظل تلك الظروف الحرجة التي أشتد فيها الجوع والقحط.[14]

وقف السكان المحليين مكتوفي الايدي أمام تلك التطورات، وجاء اليهم عدو لا يعرف الرحمة او الشفقة تدفعه روحه الصليبية للنيل من السكان العزل، وعلى الرغم من الامكانات المتواضعة، قاد حركة المقاومة في طرابلس سليمان الباروني وفرحات بك، بينما قاد حركة المقاومة في برقة السيد أحمد الشريف، وتعاون الطرفان من أجل مواجهة الاستعمار الايطالي، ولكن الكثرة غلبة الشجاعة فقد أستطاع القوات الايطالية احتلال البلاد في ظرف شهر.[15]

ولن تحمل تلك الحرب الشعواء التي خاضها الايطاليون أدنى مراتب الشرف العسكري فقد انتهكوا كل القيم العسكرية وقد رافقت تلك الحرب أعمال مشينة من القتل والابادة، والتخريب الوحشي، ففي واقعة المنشية التي حدثت في الثالث والعشرين من تشرين الاول عام 1911، كان الايطاليون يشدون أيدي الرجال والنساء والاطفال ويذبحونهم، وأباحوا القتل في طرابلس، وشارك بتلك المجازر الضباط والجنود، وبعض القساوسة، وصار إطلاق النار على الابرياء من وسائل التسلية للجنود الايطاليين، وصرح أحد المرافقين للجيش الايطالي في طرابلس وهو الانكليزي فرانسز ماكولا إذ قال: " **أبيت البقاء مع جيش لا هم له إلا ارتكاب جرائم القتل، وإن ما رايته من متاعب، وترك النساء المريضات وأطفالهن يعالجن سكرات الموت على قارعة الطريق جعلني أكتب للجنرال كانيفا كتاباً شديد اللهجة أقول فيه: إني أرفض البقاء مع جيشاً لا أعده جيشاً بل عصابة من قطاع الطرق القتلة**".[16]

ويرى الباحثان إن المرجعية الدينية لم تغفل عن تلك الجرائم، واتبعت شعار انصر أخاك المسلم المستضعف، الذي ترك تحت رحمة من لا يرحم فإن جرائم الجيش الايطالي، بقيت عار كبير في شرف الجندية الايطالية، وبينت همجية تلك القوات التي تدعي بأن جذورها ترتبط بالإمبراطورية الرومانية المقدسة، التي هي رمز للمدنية وللحضارة الاوربية.

خامساً: فتوى الجهاد للمرجعية الدينية أهدفها وأبعادها:

صدرت فتاوى الجهاد من قبل كبار مراجع التقليد آنذاك، في النجف الاشرف وفيما يأتي نص الفتوى:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة المسلمين الموحدين وممن جمعتنا واياهم جامعة الدين والاقرار بحمد سيد المرسلين، السلام عليكم ايها المحامون عن التوحيد والمدافعون عن الدين والحافظون لبيضة الاسلام لا يخفى عليكم ان الجهاد لدفع هجوم الكفار على بلاد الاسلام وثغوره مما قام اجماع المسلمين وضرورة الدين على وجوبه. قال الله سبحانه: "انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ". هذه كفرة ايطاليا قد هجموا على طرابلس الغرب التي هي من أعظم الممالك الاسلامية وأهمها فخربوا عامرها وأبادوا أبنيتها وقتلوا رجالها ونسائها واطفالها مالكم تبلغكم دعوة الاسلام فلا تجيبون، وتوافيكم ضرخة المسلمين فلا تغيثون، أنتنظرون أن يزحف الكفار الى بيت الله الحرام، وحرم النبي والائمة عليهم السلام ويمحوا الديانة

الاسلامية عن شرق الارض وغربها وتكونوا معشر المسلمين أذل من قوم سبأ، فالله الله بالتوحيد، الله الله في الرسالة، الله الله في نواميس الدين، وقواعد الشرع المبين، وفيما بعد التوحيد إلا التثليث، ولا بعد الاقرار بمحمد (صلى الله عليه واله وسلم) إلا عبادة المسيح، ولا بعد استقبال الكعبة إلا تعلق الصليب، ولا بعد الاذان إلا قرع النواقيس فبادوا الى ما أفترضه الله عليكم من الجهاد في سبيله، واتفقوا ولا تفرقوا، وأجمعوا كلمتكم وابذلوا اموالكم وخذوا حذركم واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم لئلا يفوت وقت الدفاع وأنتم فاعلون، وينقضي زمن الجهاد وأنتم متثاقلون (وليحذر الذي يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم).

خادم الشريعة المطهرة محمد كاظم الخراساني الأحقر الجاني عبد الله المازندراني الجاني شيخ الشريعة الاصفهاني الأقل علي رفيش أقل خدام الشريعة محمد حسين القمشة أقل خدام الشريعة الغراء حسن بن المرحوم صاحب الجواهر الأحقر الجاني السيد علي التبريزي الأقل الجاني مصطفى الحسيني الكاشاني الراجي عفو ربه محمد آل الشيخ صاحب الجواهر قدس سره الراجي عفو ربه الغفور محمد جواد الشيخ مشكور ق س الأحقر جعفر ابن المرحوم الشيخ عبد الحسن ق س بسم الله الناصر المعين أنا وكل المسلمين نستعين الأقل محمد سعيد الحبوبي.[17]

ويمكن الاستنتاج مما تقدم إن الحرب كما صورتها الفتوى التي أصدرها كبار مراجع التقليد غرضها الاساس ديني بحث وهدفها القضاء على الوجود الاسلامي ليس في المغرب العربي فحسب بل في المشرق العربي، ودعت الى مناصرة المجاهدين بالمال والأنفس، و وصفت الحالة المأساوية التي شهدتها طرابلس في تلك المرحلة التاريخية، و طلبت من المسلمين على اختلاف مشاربهم نصرة إخوانهم الموحدين ضد الكفرة الملحدين الذين آمنوا بالتثليث وحرفوا ما جاء به النبي عيسى عليه السلام، وتعد هذه الفتوى نداء لتوعية المسلمين عن مخاطر ذلك الاحتلال وأبعاده غير الانسانية.

سادساً: صدى تلك الفتوى في الشارع العراقي:

وزعت الفتوى التي أسلفنا ذكرها في جميع أنحاء العراق وأمتد صداها الى كل المسلمين في إيران و روسيا والهند وغيرها من البلاد الاسلامية، وأندفع الناس بحماس كبير من أجل التطوع والتبرع، وبدأت الصحف بالكتابة لدعم المجاهدين الليبيين، و و نقل خطباء المنبر الحسيني فتوى المرجعية الدينية للجماهير وشرحوها لهم، وهذا الأمر زاد حماس الناس وتطلعاتهم للمشاركة في الجهاد الى جانب إخوانهم في ليبيا، وأقيمت الاحتفالات ذات المظهر الديني لدعم المجاهدين هناك[18]، وأحتشد الاهالي في بغداد بعد الهجوم على طرابلس في ساحة باب المعظم وتقدموا بتسجيل أسمائهم للتطوع، وفي يومي السادس والسابع من تشرين الاول عام 1911، سارت مظاهرات أخرى في ذات المنطقة ضمت ما يقارب العشرة الاف شخص كانوا ينقرون الطبول ويرددون أهازيج الحرب، في الثامن منه تظاهرت حشود كبيرة من النساء والاطفال ورجال العشائر العربية في أزقة بغداد، وجرت مظاهرات مماثلة في الكاظمية حيث أحتشد الأهالي عند الضريح وتكلم خطباؤهم فهاجموا ايطاليا ودعوا السنة والشيعة الى توحيد صفوفهم ونبذ الخلافات الطائفية، وابتهلوا ان ينصر الله العرب الطرابلسيين في محنتهم، وفي التاسع من تشرين الاول توجه المتظاهرون من مدينة الكاظمية عبر الجسر الخشبي الى مدينة بغداد، وكانوا يرددون هتافات بنصرة الطرابلسيين ويمزجونها بابتهالات دينية، ثم نظموا مظاهرة أخرى في العاشر من تشرين الاول عند ضريح الامام موسى الكاظم. وأثناء المظاهرات أطلقت العيارات النارية التي كانت بمثابة انذار للأوربيين الموجودين في بغداد، وردد المتظاهرون عدة شعارات معادية لهم من بينها " **لعن الله كل أبو شفقه**".[19]

وقام عدد من أعيان الشامية بتأليف جمعية في القضاء المذكور، وكان الشيخ مبدر الفرعون وأخوته من أوائل المتبرعين لها، حيث دفعوا ثلاثمائة ليرة، وتبرع الشيخ نفسه بخمسمائة ليرة أخرى، فضلا عن ذلك عقد أهالي كربلاء اجتماعاً عاماً عند ضريح الأمام الحسين عليه السلام، وألقيت فيه الخطب الحماسية، ثم جمعت التبرعات فبلغت ستمائة ليرة يوم الرابع من تشرين الاول وسبعمائة ليرة في يوم الثامن من تشرين الاول. وتظاهر في الثاني عشر من تشرين الاول ما يقارب الالفين من الاهالي ثم احتشدوا عند ضريح الامام الحسين وألقى السيد جواد الروزخون كلمة أثنى فيها على شجاعة الطرابلسيين، وشهدت مدينتا النجف وسامراء مظاهرات مماثلة يومي الحادي عشر والسابع عشر من تشرين الاول،

وألقيت الخطب الحماسية، ودعا الخطباء الى نبذ الخلافات الطائفية وتوحيد الجهود، ثم تم جمع التبرعات فجمع أهالي النجف مائة وأثنين وأربعين ليرة خلال يوم واحد.[20]

وتأزر المسلمون والمسيحيين على تشكيل لجان خاصة لمساعدة الطرابلسيين في حربهم، وفي يوم السابع والعشرين من تشرين الأول، أعلنت أسواق البصرة أضراباً عاما وتجمهر الاهالي خارج المدينة للاحتجاج على ايطاليا، وبدأوا يرددون أهازيج الحرب ويلوحون بأعلامهم ويطلقون العيارات النارية، وانضم اليهم أعداد كبيرة من الزنوج وهم ينقرون على الطبول، والتحق بهم أعداد غفيرة من اهالي الزبير، فبلغ عدد المتجمهرين ما يقارب الثلاثة آلاف مواطن.[21] ويرى الباحثان إن فتوى المرجعية الدينية لاقت تأثير كبير في الأوساط العراقية وتعاطف معها غير المسلمين من أبناء الوطن، فسقطت الدماء الشيعية دفاعا عن حرائر ليبيا وأشرافها الذين هم من المذهب السني، وهذا يعني إن المرجعية الدينية هي حاملة لواء السلام والحفاظ على كل المسلمين من كل مكروه.

سابعاً: تأثير فتوى المرجعية على الشعراء:

تعاطف الشعراء مع فتوى المرجعية آنذاك، ولم يوثق جميع ما طرحه الشعراء، ولكن يمكن تسليط الضوء على نماذج من أولئك الشعراء الذين نددوا بسياسة ايطاليا تجاه طرابلس، ومن أبرزهم عبد المحسن الكاظمي إذ قال في إحدى قصائده:

يوم تظل له الآماق دامية وتلتظى عنده الاضلاع والحزم
من ذا يقر له جنب ومضطجع والبيت مضطرب الاركان والحرم؟
ببرقة وبني غازي وأختهما أعني طرابلس عاث الازلم الغشم
أهل العزيمة ليس اليوم يوم ونى وليس بحمد بعد اليوم معتزم
هذي طرابلس تدعوكم لنجدتها فشاطروها الاسى أو تفرج الازم
اخوانكم في العرى صرعى ونسوتهم مروعات ولا مأوى ولا حرم[22]

وكتب الشاعر عبد المطلب الحلي من شعراء الفرات الاوسط، و ولد ونشأ بمدينة الحلة، قصيدة بخصوص حرب طرابلس أبرز ما جاء فيها:

كيف ترجو كلاب رومه منا أن ترانا لحكمها خاضعينا
دون أن نفلق الجماجم والها م بضرب يأتي على الدارعينا
نبحونا مهولين فلما أن زارنا عاد النباح أنينا[23]

وهناك قافلة من الشعراء الذين عبروا عن تلك القضية ومنهم محمد حسين كاشف الغطاء، الذي أصبح فيما بعد مرجعا كبيراً للطائفة الشيعية وأهم ما قاله:

أيرجوا الاسلام لقيان سلم بعد حرب الطليان والبلقان؟
يتشكى المراكشي اعتصابا وكشكواه يشتكي (العثماني)
واذا ولولت طرابلس في الغر ب أتاها العويل من (ايران)[24]

ويرى الباحثان إن تلك الأشعار[25] أثرت على المجتمع العراقي ومثقفيه، الذين كانوا يستشهدون بهذه الاشعار لشحذ همم المجتمع من أجل زيادة التفاعل مع تلك القضية، ولعبت الصحافة المحلية دور كبير في نشر تلك الاشعار، وكذلك خطباء المنبر الحسيني الذين لهم مكانه متميزة في ذكرها لاستعطاف الجمهور.

ثامناً: صدى فتوى المرجعية على الصحافة المحلية:

أحدى نتائج فتوى المرجعية الدينية تفاعلت الصحف العراقية بكافة توجهاتها مع الاحداث الجارية في طرابلس، والتفتت تلك الصحف لمراقبة الأحداث وتطورها، وكتبت عدة مقالات في هذا الشأن، وبينت حجم الخسائر التي أوقعها العرب الطرابلسيين في صفوف القوات الايطالية، ولاسيما صحيفة صدى بابل وحاولت الصحف دفع الروح المعنوية للقتال،

وذلك عن طريق الكتابة عن الأزمات التي تعترض الحكومة الايطالية، والحالة المزرية التي كانت تعيشها قواتها، وحملة الصحافة العراقية الحكومة العثمانية مسؤولية الهجوم على طرابلس، وتناولت جريدة النجف موضوع حرب طرابلس بأنه جزء من السياسة البريطانية وأهدافها الاستعمارية في أحكام سيطرتها على بقية المنطقة العربية، وشاركتها هذا الرأي صحيفة الحياة البغدادية[26]، وذكرت صحيفة سبيل الرشاد البغدادية إن الاجراءات التي أتخذها العرب في العراق لم تكن كافية لمؤازرة إخوانهم في طرابلس، واستشهدت بوقائع من تاريخ العرب لثير حماس الاهالي وتدفعهم الى المزيد من بذل التضحية في سبيل تلك القضية.[27] ويمكن القول إن الصحافة العراقية بكافة توجهاتها أيدت نصرة الطرابلسيين في حربهم غير المتكافئة، أمام جحافل القوات الايطالية، ولذلك فإن فتوى المرجعية الدينية زادت من اندفاع الكتاب ولاسيما المسلمين للكتابة عن معاناة أبناء طرابلس، والميدان الصحفي هو بمثابة حامل لواء الاعلام في تلك المرحلة التي لا يوجد فيها الاعلام المرئي وغير المرئي للجمهور العراقي، وكانت المقاهي بمثابة مراكز تثقيفية فإن المثقفين يشرحون فيها ما يكتب في الصحافة لجمهور الناس البسطاء.

الخاتمة

- أثبت البحث الهوية الوطنية للمرجعية الدينية في النجف الأشرف وإنها تتعامل على أساس إنساني فجرائم الذبح وانتهاك الأعراض تستوجب اعلان الجهاد.
- كشف البحث مدى التفاعل الشعبي مع فتوى المرجعية عن طريق المظاهرات في المدن المقدسة وبقية المدن الأخرى وحملة التبرعات لنصرة المجاهدين في طرابلس.
- تأكد من دراسة البحث تخاذل الدولة العثمانية عن نصرة الشعب الليبي الذي كان لا حول له ولا قوة، وجاءت فتوى المرجعية في ظرف كان الشعب الليبي بحاجة ماسة لها.
- ظهر من خلال البحث مدى تفاعل الشعراء وخطباء المنبر الحسيني والصحفيين مع فتوى المرجعية الدينية.

الهوامش والمصادر:

1. علاء عزيز كريم، موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من التطورات السياسية في العراق 1921-1924، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية جامعة بابل عام 2007، ص5.
2. ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين الطوسي: عرف بالطوسي نسبة الى مدينة طوس من مدن خراسان في بلاد فارس، ولقب بشيخ الطائفة، ولد في شهر رمضان عام 385هـ/964م، وهاجر الى بغداد عاصمة العباسيين عام 408هـ/987م، وكان في الثالثة والعشرين من عمرة، وأصبح من علماء الشيعة الاثنا عشرية عام 436هـ/1015م، وتوفي في 460هـ/1068م. ينظر: الموسوعة الحرة:http://ar.wikipedia.org
3. علاء عزيز كريم، المصدر السابق، ص13.
4. المصدر نفسه، **ص13.**
5. المصدر نفسه، ص16؛ حسين علي الفاضلي، الحوزة العلمية، دراسة وتحليل، الحوزة العلمية الزينبية نموذجاً، مجلة الراشد، العددين 17-18، دمشق، 2004، ص249.
6. علاء عزيز كريم، المصدر السابق، ص21.
7. محمد الحسيني الشيرازي، نظام الحوزات العلمية، ط1، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، بيروت، 2003، ص3.
8. موسوعة الرشيد:http://www.alrashead.net/index.php?previn&id=199&
9. محمد علي حامش، عمر المختار وحركة المقاومة المسلحة في ليبيا ضد الاستعمار الايطالي 1911-1931، مجلة المؤرخ، العدد 39، بغداد، 1988، ص13.
10. زاهية قدوري، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص419.

11.محمد علي حامش، عمر المختار وحركة المقاومة المسلحة في ليبيا ضد الاستعمار الايطالي 1911–1931، مجلة المؤرخ، العدد 39، بغداد، 1988، ص16.

12.زاهية قدوري، المصدر السابق، ص419.

13.كولا فولايان، حركة المقاومة في ليبيا، ترجمة محمد علي داهش، مجلة أفاق عربية، العدد الثالث، بغداد، 1979، ص ص 108–109.

14.الطاهر احمد الزاوي، جهاد الابطال في طرابلس الغرب، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1970، ص35.

15.محمد علي حامش، عمر المختار وحركة المقاومة المسلحة في ليبيا ضد الاستعمار الايطالي 1911–1931، مجلة المؤرخ، العدد 39، بغداد، 1988، ص17.

16.محمد سعيد الطريحي، المرجعية الدينية وقضايا العالم الاسلامي: الغزوا الايطالي للقطر الليبي وحرب طرابلس سنة 1911، مجلة الموسم، مجلة فصلية مصورة تعنى بالتراث والاثار، العدد السادس، بيروت، 1990، ص ص379–380.

17.محمد سعيد الطريحي، المرجعية الدينية وقضايا العالم الاسلامي: الغزوا الايطالي للقطر الليبي وحرب طرابلس سنة 1911، مجلة الموسم، مجلة فصلية مصورة تعنى بالتراث والاثار، العدد السادس، بيروت، 1990، ص ص 381–382؛ مجلة العلم النجفيه، المجلد السابع، الجزء السادس، تشرين الثاني 1911، ص249.

18.محمد سعيد الطريحي، المرجعية الدينية وقضايا العالم الاسلامي: الغزوا الايطالي للقطر الليبي وحرب طرابلس سنة 1911، مجلة الموسم، مجلة فصلية مصورة تعنى بالتراث والاثار، العدد السادس، بيروت، 1990، ص380.

19.محمد هليل الجابري، الحركة القومية في العراق بين 1908–1914، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب جامعة بغداد عام 1980، ص ص 423–425.

20.المصدر نفسه، ص ص 426–427؛ وميض جمال نظمي، شيعة العراق وقضية القومية العربية: الدور التاريخي قبيل الاستقلال، مجلة المستقبل العربي، الأعداد 42–44، بيروت، 1982، ص ص 81–82.

21.محمد هليل الجابري، المصدر السابق، ص428.

22.ابراهيم الوائلي، الشعر العراقي وحرب طرابلس، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد السابع، بغداد، 1964، ص ص 204–205.

23.للمزيد من التفصيلات ينظر: علي الخاقاني، شعراء الحلة، المجلد 3، المطبعة الحيدرية، النجف، 1953، ص ص 230–233.

24.رفائيل بطي، الادب العصري، الجزء الثاني، المطبعة السلفية، القاهرة، 1923، ص87–89.

25.هناك الكثير من الشعراء الذين كتبوا عن هذه القضية لم يذكرهم الباحثان في متن البحث وذلك لكثرتهم ومنهم: محمد حسين ابو المحاسن، والشيخ محمد رضا الشبيبي، و باقر الشبيبي، و علي الشرقي،وعبد العزيز الجواهري، وغيرهم. وللمزيد من التفصيلات عن اولئك الشعراء ينظر: ابراهيم الوائلي، الشعر العراقي وحرب طرابلس، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد السابع، بغداد، 1964، ص ص 202–217.

26.محمد هليل الجابري، المصدر السابق، ص ص 433–438.

27.المصدر نفسه، ص 439.